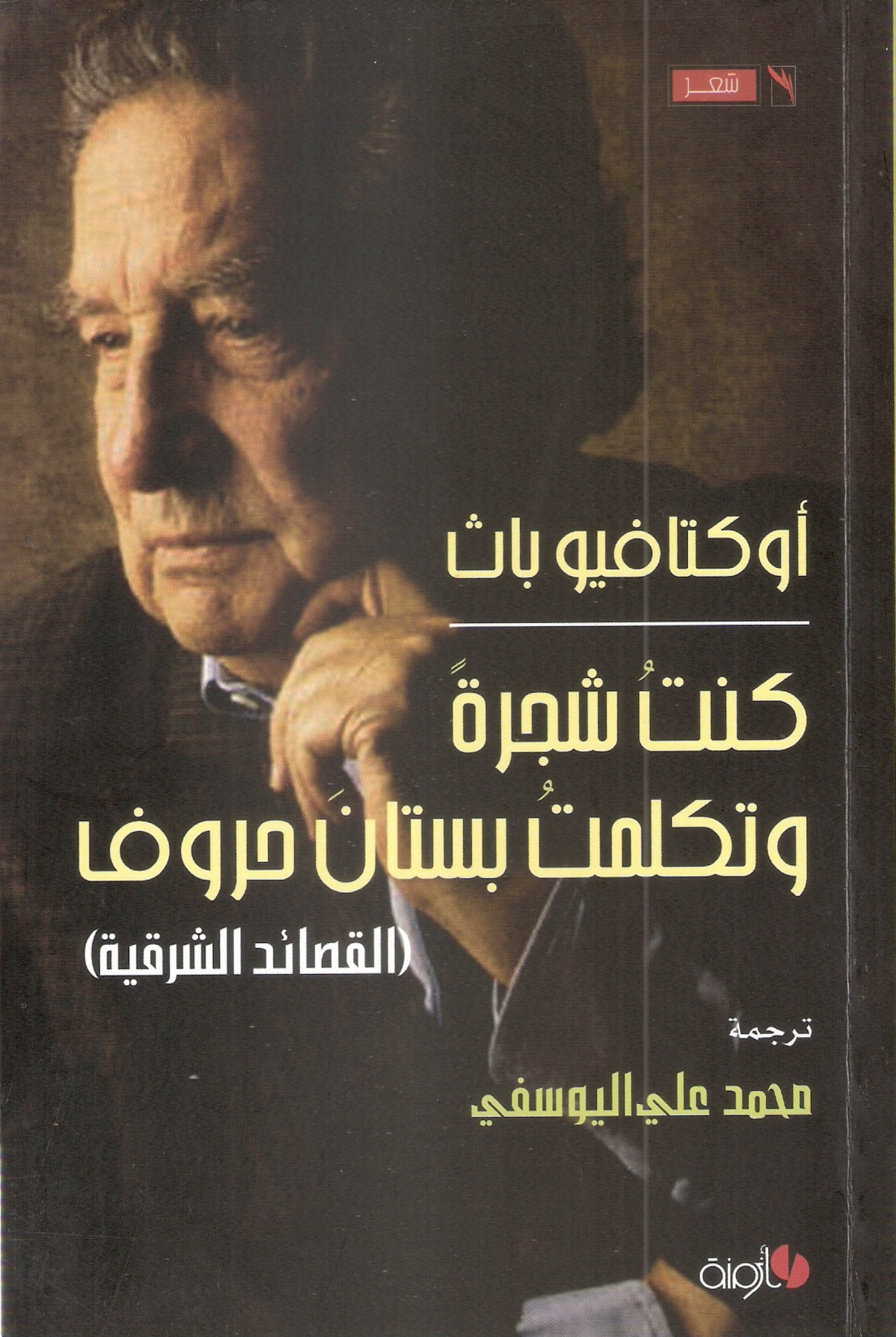


شعر

أوكتافيو باث

كنتُ شجرةً وتكلمتُ بستانَ حروف

(القصائد الشرقية)

ترجمة

محمد علي اليوسفي

كنت شجرة
وتكلمت بستان حروف

أوكتافيو باث

كنتُ شجرةً وتكلّمت بستان حروف

القصائد شرقية

ترجمة وتقديم : محمد علي اليوسفي

الطبعة العربية الأولى 2008

أزمنة ®

أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5522544

ص. ب : 950252 عمّان 11195 الأردن

شارع وادي صقرة، عمارة الدوحة، ط 4

E.Mail:info@azminah.com

Website:http://www.azminah.com

تصميم الغلاف: أزمنة (إلياس فركوح)

فرز وسحب الأفلام: زمرّد

الترتيب والإخراج الداخلي: أزمنة (نسرين العجو، إحسان الناطور)

الطباعة: النايا للدراسات والنشر / دمشق

تاريخ الصدور: حزيران/ يونيو 2008

شعر

أوكتافيو باث

كنتُ شجرةً وتكلمتُ بستانَ حروف

(القصائد الشرقية)

ترجمة

محمد علي اليوسفي

أزمنة

مقدمة المترجم

مدخل ـ حكاية :

يقال إن صاحب هذه السطور هو أول من ترجم قصائد من شعر أوكتافيو باث وصدرت ضمن كتاب (هناك من ترجم له من قبل قصائد ظلت متفرقة في الصحف والدوريات العربية) ، ولتلك الترجمة حكاية تصلح أن تكون مدخلاً لهذا التقديم .

لقد صادف أن بيروت نهايات الحرب الأهلية وما قبل الحصار النهائي ، جعلت مني مترجماً . وخلال طفرة الانتباه المتأخر (دائماً) لظاهرة الأدب الأمريكي اللاتيني ، كان للرواية نصيب أكبر ، بل مطلق ، مقارنة بالشعر ، إذا استثنينا بابلو نيرودا ، لأسباب شعرية وأخرى أيديولوجية . وكان أن اقتربتُ من شعر بلدان تلك القارة فوجدته أقرب إلى الشعر العربي في مضمونه النضالي ، على حساب الشعريِّ فيه . وكان من العيوب أن يجهر المرء بذلك في أجواء ما تَبَقّى من أحلامنا المنذرة .

وعندما تيقَّنت أن أوكتافيو باث هو الشعر والشاعر ، ترجمته لنفسي أولاً . وقرأت منه لبعض الأصدقاء (أحدهم سوداني ، أعتقد أنه في أمريكا اللاتينية الآن ، وأحدهم عراقي ، طلب اللجوء إلى دولة أوروبية ، وآخر سوري ضاعت عنِّي سُبله ، وآخر فلسطيني مازلتُ أبحث عنه ...) كان الكتاب الذي بين يديَّ يضم أربع مجموعات شعرية تحت عنوان موحد «حرية مشروطة» اقتصرتُ على ترجمة ثلاث منها فقط ، لطول الرابعة أولاً ، ولإغراقها في السوريالية ثانياً ، وهي متأتية من مرحلة أوكتافيو باث السوريالية .

ولما جاء دَور النشر ، اكتشفت أن باث شاعرٌ شاب ، مبتدئ ، يتوسل النشر على أبواب دورٍ حققت مجداً لا بأس به في هذا المجال (دار ابن رشد، الكلمة ، المسيرة،

الخ...)

في الدار الأولى نامت المختارات قرابة العام ، وعندما حاولت استرجاعها لم يستطع الناشر العثور عليها إلا بعد أن ساعدته تنقيباً وقلباً لأكداس المخطوطات إلى أن وجدناها في الطبقة الأدنى ، بين الغبار ومخطوطات الشعراء الشبان الذين لم يدفعوا مقابلاً للنشر .

لدى الناشر الثاني ظلت ستة أشهر .

وفي الأثناء قدَّمتُ القصيدة الأهم ، وهي قصيدة ـ ديوان «حجر الشمس» إلى مجلة الكرمل . وكانت السبب في تعرُّفي على محمود درويش شخصيّاً ولأول مرة ، وليس شعرياً فقط . إذ أرسلت بها إليه عن طريق شخص ثالث .

وانتبه الناشر: لماذا لا يقدِّم محمود درويش هذا الديوان في ترجمته إلى العربية ! قلت : لا أعتقد أن هذه مهمته ، ومع ذلك سألته . فأجاب بأن أوكتافيو باث «لا يحتاج إلى تقديمي» . وهكذا نام باث بين الأدراج شهوراً أخرى حتى تحدثت عنه أمام الصديق الشاعر أحمد فرحات ، ثم محمد علي فرحات؛ الأول ارتجف حماسة ، والثاني ابتسم بهدوئه المعتاد .

وعرفت أن ناشراً جديداً ، من العائلة ، من الجنوب اللبناني ، «يثق بنا» ، نحن الذين نثق بأوكتافيو باث .

وأثمر الجهد الثلاثي لدى الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع .

تم تنضيد الكتاب ... فبدأ الحصار .

صدر الكتاب وأنا في تونس ، سنة 1983 .

ثم حصل الشاعر على جائزة نوبل سنة 1990 .

ونفد الكتاب من الأسواق .

هكذا حصل مع غابرييل غارسيا ماركيز أيضاً .

وكان من الطرائف أن الكتاب جاء خالياً من الأخطاء المطبعية إلا في ما ندر. لكن الأخطاء الأفدح كانت «صوتية» . كيف ؟ قدَّرتُ أن الناشر أملى العناوين على

الخطّاط شفوياً ، أو عبر الهاتف؛ فجاءت سماعاً على غرار هذا العنوان «نشيد بين الانقاد» بدلاً من «نشيد بين الأنقاض» مثلاً ، و«حياة مستشفى» بدل «حياة مُسْتَشَفَّة» إلخ ...

ومازالت الحكاية طويلة . لكني أترك نهايتها لفرصة أخرى. ولنعد إلى أوكتافيو باث .

ابن قرن وقارة . . . ثم قارات

ولد أوكتافيو باث في مكسيكو سنة 1914 . مر بثلاث مراحل بارزة في حياته تركت أثرها على أعماله . كانت المؤثرات الأولى متأتية من البيئة الهندية في المكسيك ، إذ كان جده باعث الحركة «الأهلية» ومؤلف إحدى أولى الروايات المنادية بالعودة إلى التقاليد الهندية قبل اكتشاف القارة الجديدة . كما كان أبوه محامياً ومنادياً بالإصلاح الزراعي ، وقد شارك في الثورة المكسيكية كمستشار للقائد الفلاحي إميليو زاباتا ، وممثلاً له لدى حكومة الولايات المتحدة .

كان حلم أوكتافيو باث الأول هنديَّ الينابيع ، إلا أن الثقافة الكولونيالية أتت عليه متجاوزة الثقافة الهندية والمكسيكية ـ الإسبانية دافعة بالرؤيا الهندية للكون ، التي كان يسعى إليها باث ، إلى الخلف .

ومنذ سن السابعة عشرة أسس أول مجلة طليعية من ضمن سلسلة المجلات التي أسسها أو أشرف عليها فيما بعد . وكان همه الجمع بين مؤثرين: الثقافة الهندية القديمة في المكسيك ، وقراءة الشعراء الأسبان مكتشفاً في الوقت نفسه اليوت ، بيرس ، بريتون ، وغيرهم . وعندما تأكد أخيراً أنه «ابن قرن وقارة» حيث لا يكفي فهم العالم فقط بل ينبغي تغييره: قرأ ماركس .

تجربة الحرب الأهلية

عندما اندلعت الحرب الأهلية في أسبانيا ، التحق باث بمدريد في أوج الحرب سنة 1937 وهناك حضر مؤتمرًا للكتاب حيث التقى ميغيل ارنانديث، رفائيل البرتي ، بابلو نيرودا ... وغيرهم . وانخرط إثر عودته من أسبانيا إلى المكسيك في العمل السياسي . إلا أن الحرب الأهلية كانت قد تركت آثارها في أوكتافيو باث

الذي شاهد شعباً ، أمام خيانة بورجوازيته وتحرك العسكر وتردد الجمهورية ، يستولي على الأرض والسلطة والسلاح في مد شعبي هائل ، إلا أن ذلك الشعب غلبه العسكر وتركه الديمقراطيون وخذله قادته ، وكذلك الروس .

أحدثَ كل ذلك صدمة عند الشاعر الذي لم يتوان عن إعلان رأيه والتشهير بتلك المواقف ، الأمر الذي جلب له الارتياب ، بل العداء والكراهية من أصدقائه الأسبان والأمريكيين الجنوبيين . فعاش العزلة والمنفى .

من السوريالية إلى الكونية

لم يكن اقترابه من السوريالية ، ومن بريتون بالذات ، هو العامل الوحيد الذي جعله يقترب منهما فكراً وقلباً ...

كان ذلك اختياراً أمام التاريخ ، كما كان حكماً سياسياً وأخلاقياً انجرَّ عنهما لمدة سنوات (وحتى 1953 والمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي) المنفى أو الانسحاب ، العزلة أو الضعف ، خلال فترة الخوف من المدافعين عن النظام أو الانسحاق بالستالينية ، لأن كل مَن يعاديها هو عدو الثورة : «اصمتْ أو أومئْ: سيَّان . الحكم عليك جاهز في مكان ما. لا مخرج إلا خزياً أو شنقاً . أحلامك مفرطة في الوضوح ، أنت ، بالأحرى ، بحاجة إلى فلسفة متينة» (من قصيدة «شاعر») .

ثم عاش باث مرحلة تسكع وسفر عبر العالم (الولايات المتحدة ، فرنسا ، اليابان ، الهند ، الخ ...) منغمساً أثناء ذلك في قراءة كوسموبوليتية (كونية) تجمع بين الأبحاث النقدية (متاهة العزلة - القوس والقيثارة) والقصائد الشعرية ، بالإضافة إلى الدراسات الانتروبولوجية والسياسية والجمالية والفلسفية ، مع توجه صوفي يصهر الفكر الفلسفي في الرؤيا الشعرية مستخدماً الأسطورة دون إثقال النص ، محاولاً إخراج الإنسان المحسوس خارج أحلامه: «كن جديراً بما تحلم» يقول ، متشبثاً بمكسيكيته نحو أفق كوني أكثر شمولية في أهم أعماله (حجر الشمس 1957) ، حيث الإنسان في المفترق بين جميع الأشياء ، وحيث تتحقق الفكرة في الغناء والفلسفة في النشيد ، ويعود المسافر الباطني بعد الضياع

في التاريخ؛ يعود من جديد إلى صفاء الأحياء بعد «مسيرة جدول يتعرج ، يتقدم ، يتراجع ، ينعطف ، ودائماً يصل»: ليس الإنسان إنساناً إلا بين البشر .

بعد تجربة الحرب الأهلية الأسبانية ومذبحة الطلاب في بلاده سنة 1968 تحول باث إلى المطالبة بالديمقراطية في أمريكا اللاتينية ، كحل أفضل من التبرك بالثورة الكوبية . وهي الفكرة المركزية التي حام حولها كتابه «الطقس الغائم» وكذلك مجلة «فويلتا» (عود على بدء) التي عاد إلى الإشراف عليها منذ 1976 .

وبعد حصوله على جائزة نوبل للآداب سنة 1990، صار كثير التنقل لإلقاء محاضراته في القارتين الأمريكية والأوروبية . ولأكثر من عام ظل أوكتافيو باث يعاني من داء السرطان . كما خضع قلبه إلى عملية جراحية ... حتى توقف ، ذات يوم أحد 19 من أقسى الشهور ، نيسان ، عن 84 عاماً .

غرفة الأصدقاء

هذه المختارات أردناها مقتصرة على مجموعة من القصائد «الشرقية» ، إذا صحت مثل هذه التسمية ، ضمن الرؤيا الكونية التي يتميز بها شعر باث. إنها القصائد التي كتبها إثر إقامته في الهند واليابان منذ الخمسينات حيث عُيِّن سفيراً لبلاده في نيودلهي . غير أنه قدم استقالته من منصبه سنة 1968 احتجاجاً على المجازر التي ارتكبتها حكومة بلاده ضد الطلاب .

لقد عاد الشاعر من تلك الإقامة المطولة مغتنياً باكتشاف جوهري سوف يشكل منعطفاً بارزاً في مسيرته الشعرية والفكرية ، ويتمثل في اطلاعه العميق على البوذية وفي توخي أساليب جديدة للكتابة طبعت مضامينها قصائده كما أثرت في أشكالها ، ابتداء من تبني شكل قصيدة الهايكو اليابانية على سبيل المثال .

يقول باث متحدثاً عن اكتشافه للشرق والبوذية «*أعتقد أن الفكر الأكثر جذرية وخلاصاً ، ضمن ما يلازمه من مسحة تشاؤمية ، يكمن في البوذية . أرى أن على الإنسانية تفادي الإلحاد والتوحيد من أجل خلاصها . ذلك أن التوحيد يعني «محاكم التفتيش» و» «الغولاغ» ، أما الإلحاد فإنه لا يقدّم الحرية الموعودة للشعوب.. تحتاج الإنسانية ، إذا ما أرادت التجدد والإفلات من الدمار، إلى*

معالجة طويلة بواسطة البوذية ، أنا مقتنع بذلك حميمياً» .

يمكن القول إن شعر أوكتافيو باث هو «شعر ثقافي» يمسك باللحظة وبالمحسوس ، لكنه ينشغل دائماً بفكرة يسوقها. ويتمكن من كتابة قصائد ناجحة بأبسط الأفكار . ذلك أن الفكرة عنده تظل مندغمة في القصيدة ولا يمكن تمييزها إلا عبر الإدراك الشعري . ففي الشعر تنسجم الفكرة والصورة ، أو كما يقول باث «في الشعر نسمع الصور» .

ويصعب الفصل ، لدى أوكتافيو باث ، بين الشعر والنقد والبحث . ولعل هذا هو ما يظهر في شعره كما في أبحاثه المتعلقة بالواقع المكسيكي أو بفن مارسيل دي شامب ، أو بحياة تلك الشاعرة التي عاشت في القرن السابع عشر في المكسيك ، ونفض عنها باث الغبار: خوانا اينياس دي لا كروث ، وغير ذلك من المواضيع الملحّة والتي تخوض حتى في الراهن السياسي .

والشاعر يمتلك إحساساً مزدوجاً بالتاريخ ؛ حسّ الإرث الأدبي ، وحسّ التاريخ بمفهومه الحصري . لذلك يكتب باث ، في أعماله الأدبية ، مدركاً أن مجمل الآداب الأوروبية والأمريكية ، وكذلك الأشكال الشعرية في الشرق ، تتعايش في «غرفة الأصدقاء» التي هي ذاكرته ، لتشكل نظاماً موحداً ومتفرداً . وعندما يلجأ إلى تناول ظاهرة حضارية أو أحداث سياسية ، فإنه يكشف عن تشابهها مع وقائع أخرى حدثت في سياق آخر .

وليس مستغرباً عندئذ أن تأتي رؤية الحاضر متأثرة بالماضي ، والعكس صحيح أيضاً .

قال جان فرنسوا ريفل عن فكر أوكتافيو باث إنه «يسيطر على الجوهري سيطرته على ظلال الفروق» . وفي الحوار لا يبحث باث لدى محاوره عمّا يؤكد أفكاره الشخصية ، بل عمّا يناقضها ويغنيها ويزعزع يقينها .

ليست الفلسفة التي تسند أعمال أوكتافيو باث في جوهرها سوى تأكيد للحضور ـ حضور الكائن هنا والآن ـ وما الشعر عنده سوى تَعرُّف على نوع من السعادة . لكن هذا التعرف لا يتم عبر النشوة والوجد ، بل من خلال السكينة

والهدوء ، أي من خلال فن البرهنة على كون الجمال في متناول أيدينا، يحيط بنا ، وهو ممكن في كل لحظة وضروري دائماً .

في ترجمة هذه القصائد ابتعدنا عن «التعريب» قدر الإمكان لصالح «الترجمة» ، وذلك لمبررات كثيرة تخص قصيدة أوكتافيو باث ولا تتكرها القصيدة العربية الحديثة (التقديم والتأخير ، التخلي عن التنقيط أحياناً أو غالباً ، تدفق الكلمات والصور من دون روابط لغوية ظاهرة ، التحليق المفهومي، الرؤية الكونية، والخ ...)

الشرفة

ثابتة
وسط الليل
ليست جانحة عن القرون
ولا نائمة
مُسَمَّرَة
كما فكرة ـ هاجس
في مركز التوهج
دلهي
مقطعان لفظيان عاليان
يطوقهما الرمل والأرق
أنطقهما بصوت خافت
لا شيء يتحرك
لكن الساعة تنمو
تتمدّد
إنه الصيف
صخب أمواج تنتشر
أسمع تموّج السماء الواطئة
فوق السهول النائمة
كتلٌ هائلةٌ تجمّعات فاحشة
غيومٌ مملوءة حشرات

تسحق
أشكالاً قزِمةً غامضة
(غداً سوف يكون لها اسم
سوف تنتصب وتكون بيوتاً
غداً سوف تكون أشجاراً)
لا شيء يتحرك
هي الساعة أكبر
وأنا مستوحد أكثر
مُسَمّرٌ
وسط الزوبعة
إذا مددتُ يدي
جسدٌ رخو هو الهواء
كائن منتشر بلا وجه
متكئاً على الشرفة
أرى
(لا تتكئ ،
إذا كنت وحيداً ، على الدرابزين
يقول الشاعر الصيني)

ليست المرتفعات ولا الليل وقمرُه
ليست اللانهاية أمام عيني
لكنها الذاكرة ودوارها
هي ما أرى
وما يدور
إنما هو الشِّراك والكمائن

لا شيء يوجد في الوراء
إنها التواريخ ودوَّاماتُها
(عرشٌ مجبولٌ من عظام
عرش الظهيرة
هذه الجزيرة
على صخرها الوحشي
في لحظةٍ رأيت الحياة الحق
كان لها وجه الموت
وكانت هي الوجه الذائب
في البحر المتألق ذاته)
ما عشتَه اليوم يمزقك
أنتَ لستَ هناك
هنا
أنا هنا
في بدايتي
لست أنكر ذاتي
أسندها
متكئاً على الشرفة
أرى
غيوماً هائلة وقطعةَ قمر
ما هو مرئيٌّ هنا
بيوت أناس
الواقع الحاضر
وقد هزمته الساعة
ما هو هنا

غير مرئي
أُفُقي أنا
إذا كانت هذه البداية بداية
فهي لا تبدأ معي
معها أبدأُ
فيها أدوم
متكئاً على الشرفة
أرى
هذا البعيد الداني
لست أدري كيف أسمّيه
حتى لو لمسته بالتفكير
الليل الذي يغرق رأساً
المدينة التي تشبه جبلاً منهاراً
الأضواء البيضاء الزرقاء الصفراء
المنارات التي تُمَسي فجأة أسواراً للفظائع
والكتل المربعة
أكوام البشر والبهائم على الأرض
وأحلامهم المتشابكة كالعليق

يا دلهي العجوز يا دلهي العفنة
أزقَّة ساحات مساجد
كما جسد مجرَّح
كما بستان مطمور
منذ قرون والغبار ينهمر
معطفك الزوابع الرملية

وِسادتك آجرَّة مهشَّمة

في ورقة تين

تتناولين فضلات آلهتك

معابدك مواخير لمن لا يشفون

وأنت مغطاة بالنمل

ساحة مهجورة

ضريح منهار

أنت عارية

كما جثة منتهكة

جرَّدوكِ من الجواهر والكفن

كنتِ موشحة بالقصائد

كان جسدك كله كتابة

تذكري

استعيدي الكلام

أنت جميلة

تجيدين الكلام الغناء الرقص

دلهي

بُرجان

مزروعان في السهل

مقطعان لفظيان عاليان

أردِّدُهما هامساً

متكئاً على الشرفة

مُسمَّراً

ليس في الأرض

في دوارها

كنت هناك

لست أدري أين

أنا هنا

حيث *لا أدري*

ليست الأرض

بل الزمن

هو الذي يسندني بيديه الخاويتين

ليل وقمر

سحبٌ تَمُرُّ

حفيف أشجار

خدر الفضاء

لا نهاية وعنف في الهواء

غبار هائج يثور

أضواء على المطار

ضجة غناء من ناحية القلعة الحمراء

أصوات بعيدة

خطوات الحاج موسيقى متجولة

على جسر الكلمات الهش هذا

ترفعني الساعة

والزمن يتضور من جوع إلى التجسد

بعيداً عن ذاتي

في مكان ما أنتظر مجيئي

في حدائق «لودي»

إلى كلود استيبان

في الزرقة اللامتناهية
قباب الأضرحة
ـ سوداء ، مفكِّرة ، متأملة ـ
أرسلتْ فجأةً
رفَّ طيور

النهار في أودايبور [1]

أبيض هو القصر
أبيض فوق البحيرة السوداء
«لنغام»[2] و«يوني» [3]

مثلما بالإلهة الإله
تحيط بي، أيها الليل.

أيتها المصطبة المنعشة.
أنت رحبة ، رحبة
كما ينبغي

نجوم لا إنسانية
لكن الساعة لنا.

1- أودايبور : مدينة هندية كثيرة المباني الأثرية (المترجم) .

2- لنغام : رمز القضيب الجنسي عند الإله شيفا (المؤلف) .

3- يوني : الرمز الجنسي لكبير الآلهة (المؤلف) .

أسقط وأنهض ،
أحترق وأغرق. أليس لك
إذنْ غير جسد واحد ؟

طيور على الماء،
فجر على الجفون.

مستغرقة،
عالية كالموت،
تتبجس ألواح المرمر.

القصور تغرق ،
بياض جانح .

نساء، أطفال
عبر الدروب : ثمار
مبعثرة.

بروق أم أسمال ؟
موكب في السهل .
مُرِنَّةً وباردة
في المعصمين وفي الكاحلين
تسيل الفضة.

في ثياب مُسْتأجَرة
ذهب الطفل إلى عرسه.
الغسيل الأبيض
منشورٌ على الحجارة.
انظرْ إليه واسكتْ.

في الجزيرة الصغيرة تصيح
قرود ذات مؤخرات حمراء.

مُعَلَّق في الجدار
كشمسٍ داكنة حارة ،
وكرُ زنابيرٍ.

جبيني هو أيضا شمس
ذات أفكار سوداء.

ذباب، دم.
في فِناء «كالي»[1]
يمرح جَدْيٌ .

في صحنٍ واحد تأكل
الآلهة، البشر والبهائم.

فوق الإله الشاحب
ترقص الآلهة السوداء،
مقطوعة الرأس.

حرارة ، ساعة مفتتة
وثمرات المانغا متعفنة...

جبينك، البحيرة:
ناعمان ، بلا أفكار .
تقفز سمكة ترْويتٌ.

أنوار على الماء:
أرواح مُبْحِرَة.

تموُّجات :
لون السهل أمغر ـ والشق...
فستانك غير بعيد.

1- كالي : إلهة الموت وزوجة شيفا الذي يعد في الديانة الهندوسية اله الدمار والخصب (المترجم) .

على جسدك في الظل
أنا مثل مصباح.

ميزان دقيق:
الجسدان المتعانقان
في الفراغ.

السماء تسحقنا،
الماء يسندنا.

أفتح عينيَّ :
أشجار كثيرة وُلدتْ
هذه الليلة.

ما رأيتُه وأقوله،
الشمس، البيضاء، تبدده.

الآخر

ابتدع لنفسه وجهاً.

وخلْفَه

عاش، مات ثم بُعث

مرَّاتٍ.

لوجهه

الآن تجاعيد ذلك الوجه.

أما تجاعيده فليس لها وجه.

GOLDEN LOTUSES (*)

حدائق غير مشذّبة
بيت رحب مثل مزرعة.
ثمة عدة حجرات فارغة،
عدة لوحات لمشاهير
مجهولين.

بنفسجية وسوداء
على الحرير وعلى الجدران الذاوية
بصمات الرياح الموسمية المزوبعة.
بذخ وغبار. حرارة، حرارة.
البيت تسكنه امرأة شقراء.
المرأة مسكونة بالريح.

❖ (أزهار اللوتس الذهبية) بالإنكليزية في الأصل (م)

اللَّحْمِيَّة الخالدة (1)

ترتعش الحدائق المتعانقة
تُدْني الأشجار جِباهها
تتهامس
النَّهار
لا يزال يشتعل في عينيَّ
رأيته ساعةً تلو ساعةٍ وهو ينساب
واسعًا وسعيدًا مثل نهر
ضفَّتاه ظلٌّ وضوءٌ مجدولان
وتلك الدَّوَّامة الصَّفراء
حركة واحدة رتيبة
والشمس متجمِّدة في وسطه
تجاذُبٌ
وذبذباتُ عنصرٍ لا يدركه اللَّمس
بقايا حطام بيضاء
جمعَتْها الرغوة المترحلة
جبال كبيرة في الأعالي
معلقة في الضوء
مجدٌ ثابتٌ تفتّتهُ

1- اللحمية الخالدة : perpetua encarnada نبتة عشبية سنوية تظل زهورها شهوراً عديدة دون أن يطرأ عليها أي ذبول . (المؤلف)

رفةُ جفنيِّن

وهنا في الأسفل

عنب هنديّ مانغا تمرهندي غار

أروكاريه شيريموليا [1]

تينة البنغال[2]

وهي الشجرة ـ الغابة

ضجيج أخضر من ملايين الأوراق

ثمار مسودّة وأكياسها مختلجة

خفافيش نائمة معلقة في الأغصان

كل شيء كان مفرطاً في الخيال

على الجدار المطلي بالكلس

وهو مسرح كتبه الضوء والريح

ظلال اللبلاب

أخضر من كلمة آذار

قناع الظهيرة

المستغرقة في كتابة عصافيرها

وما بين شِباك النور الراجفة

تذهب وتجئ

عظاية شفافة

رشيقة مدهشة في منتهى الصغر

تنتقل في المكان لا في الزمان

1- أشجار من الفصيلة الصنوبرية (المترجم)

2- Baniano شجر كبير تتدلى أغصانه إلى الأرض فتنمو لها جذور وتتحول إلى أشجار جديدة (المترجم)

تصعد وتنزل في حاضر

ليس له بَعْدُ وليس له قَبْلُ

ومثل الذي ينحني على شفا هاوية

كنت أنظر إليها

دوار

تكاثر وفراغ

الظهيرة الدُّوَيْبَة وإحساسي

ذبذبة متجانسة ومختلفة

ورأيت على الكلس انفجاراً بنفسجياً

ما أكثر الشموس في طرفة عين

آلمني البياض الفائق

فلذت بظلّ اليوكالبتوس

طلبت أن تمطر أو أن تهبَّ الريح

طلبت الاعتدال

الجذور صامتة

والأوراق تتحاور في الفضاء

طلبت الاعتدال والثبات

أنا جانح عن الزمن

مأخوذ ومولع

عاشق لهذا العالم

أمشي تائهاً في ذاتي ، متلمّساً

أطلب المثابرة والتجرّد

فَتْحُ العينين

جلاءً للرؤية

ما بين الأنوار المتلاشية

لا ضياع للصور
بل تجسيد للأسماء
عالم نبدعه لنا جميعاً
شعبُ علاماتٍ
تتوسطه
المتوحدة :
اللَّحْميَّةِ الخالدة
التي نصفُها امرأة
ونصفُها صخرة نبع
يا كلمة الجميع التي نتحدّث بها وحيدين
أطلب منك أن ترافقيني دائماً
يا حكمة الإنسان
الحيوان ذي اليدين المشعتين
الحيوان ذي العينين في طرف الأصابع
الليل يتجمع ويتبدد
عقدةُ أزمنةٍ وعنقود فضاءات
أرى أسمع أتنفس
أطلب الطاعة من هذا النهار ومن هذا الليل

أُوتَاكَامود

(1)

في جبال «نيلجيري»
بحثت عن «التُّودَا».
معابدهم إسطبلات مخروطية.
قوم ضامرون ملتحون وكتومون
يحلبون جواميسهم المقدسة
وهم يرتلون أناشيد متهافتة
من عهد سومر يحتفظون بسرّ
دون أن يعلموا أنهم يكتمونه
وبين شفاه الشيوخ الجافة
اسم عشتار، الإلهة القاسية
يلمع كما قمر فوق بئر فارغة.

(2)

في شرفة فندق سيسيل
مِسِّ بينيلوب (شعر أصفر كناريٌّ
جورب صوف، وعكاز) تردّد
منذ ثلاثين سنة : Oh India
Country of missed opportunities ...
وهناك في الأعالي
ما بين أنوار شجرة الجَكَرَنْدَة

في مرح .

(3)

رؤية من الوادي :
شجرة الكاميليا الوردية
منحنية على الهاوية.
شعلة تتوسَّط الاخضرار الصامت
مزروعة في هوة.
حضور مغلق،
لا يبالي بالدوار - وبالكلام

(4)

في الليل تكبر السماء
شجرة يوكالبتوس محروقة.
نجومٌ سمحة :
لا تسحقني ، تناديني.

قرب رأس كوموران

إلى جيراردو دينيث

في سيارة «لاندروفر» معطّلة
وسط الريف الغارق.
أشجار يغمرها الماء حتى الأعناق
تحت سماء حديثة الولادة
وطيور بيضاء هادئة،
طيور مالك الحزين والبلشون، ناصعة البياض
في الخضرة المثيرة.
ثمة جواميس غاطسة في الوحل
منهكة لامعة ترعى وهي نائمة
زنابق مائية.

قطيع قرود
متسولة. عنزة صفراء تتسلق
صخرة مدبّبة ، بطريقة مذهلة. غراب
فوق العنزة. واللامرئي،
دوام الحضور المرعب:
لا هو عنكبوت ولا هو صلّ ، إنه الذي لا يُسمّى،
اللامبالاة الشاملة
حيث الأشكال الدنيئة والفاتنة
تتكاثر وتتنافى: فَوَرَان بلا جدوى.

نبض مزدوج في الفضاء المتجمد:
الشمس إلى جانب القمر. يخيم الليل.
طائر المازور زبرجدٌ آنيٌّ. الفحم يهيمن.
يذوب المشهد المغمور.
أأنا روح تسوم العذاب أم جسد ضال ؟
وتذوب أيضاً سيارة «اللاندروفر» المتوقفة.

تمجيد دوبلكس(1)

إلى سيفيرو سردوي

(على مقربة خمسين ياردة من رصيف بونديشيري
ينتصب تمثال السيئ الحظ منافس «كليف»، على قاعدة
مبنية بأجزاء وبقايا أثرية مأخوذة من معابد قديمة -
(Murray's Handbook of India

أمام البحر تتبسط
نصف الدائرة، مروحة من حجارة.
تسعة أعمدة مقتلعة من معبد:

الكواكب التسعة.

في الوسط، مستنداً إلى القاعدة،
يبرز الذقن، والرأس واقية صواعق،
مدهون معمّد بالزبدة والقار،
ليس «غانش» ولا «هانومان»: هو في حشد الآلهة
لا يزال إلهًا مجهولاً،
يحكم ساعات مثله مجهولة،
يمناه مرفوعة ، سرواله قصير، وشعره مستعار
إنه الجنرال دوبْلَكْس ، ثابتا على قاعدة تمثاله،
بين «فندق أوروبا» والبحر الخالي من السفن .

1- جوزيف فرنسوا دوبلكس : حاكم إداري فرنسي (1697 - 1763) عيّن حاكماً عاماً لشركة الهند الشرقية سنة 1742. عرقل نشاط البريطانيين وأجبرهم على رفع الحصار عن مدينة بونديشيري سنة 1748 (المترجم).

غبطة في هيرات [1]

إلى كارلوس بيليسر

جئتُ إلى هنا
كما أكتب هذه السطور،
بلا فكرة ثابتة:
مسجد أزرق وأخضر
ستّ مآذن مقطوعة،
ثلاثة قبور أو أربعة،
ذكريات شاعر طاهر،
اسم تيمور وسلالته.
التقيت برياح المائة يوم.
غطّت في كل الليالي ، بالرمل ، كل شيء
انقضَّت على جبيني ، وألهبت جفوني.
الفجر:
انتشار الطيور
وخرير الماء على الصخور
هو خطى الفلاحين.
(لكن للماء مذاق الغبار.)
هدير في السهل

1- هيرات : مدينة في شمال غربي أفغانستان ينسب بناؤها إلى الاسكندر وهي شهيرة بجامعها (القرن الخامس عشر) وبصنع الطنافس وتكرير ماء الورد.

ومواراة ،

زوابع مغراء

بلا مضمون كأفكاري.

ذهاب وإياب

في غرفة فندق أو على الهضاب:

الأرض مقبرة جمالٍ

وفي رؤاي دائماً

تتشتت الوجوه ذاتها.

الريح ، ربة الأطلال ،

هل هي سيدتي الوحيدة ؟

انحِتاتٌ :

النقص يزداد

في قبر الوليّ ،

عميقاً في الشجرة اليابسة،

ثَبَّتُّ مسماراً،

لا،

كسائر المسامير، ضد العين الشريرة:

ضدي أنا.

(أقول شيئاً ما:

كلمات تحملها الريح.)

وقت الظهيرة، هدنة في المرتفعات.

تمشي أشجار الحور السوداء

من دون أن تغير مكانها.

شمس على الخزف المزخرف

فصول ربيع مفاجئة.

في بستان السيدات

صعدت إلى القبة الفيروزية.

مآذن موشمة بالرموز:

الخط الكوفي، فيما هو أبعد من الحرف،

يصير شفافاً.

لم أبلغ الرؤيا من دون صوَر

لم أشاهد الأشكال تدور

لتتلاشى في ثبات النور،

وجود الصوفي بلا جوهر.

لم أشرب الامتلاء من الفراغ

ولم أرَ العلامات الاثنتين والثلاثين

علامات «البوذيساتفا» [1] جسد الألماس.

رأيت سماء زرقاء والأزرق كله،

من الأبيض إلى الأخضر

مروحة الحور كلها

وفوق الصنوبر شحرور أبيض وأسود،

أقرب إلى هواء منه إلى طائر.

1- بوذيساتفا : بوذا في الصيرورة، أي قبل بلوغ النرفانا. بالنسبة لمذهب «هينايانا» البوذي يتحقق مثال الكمال في «الأرهات» ، الحكيم الذي يبلغ الغبطة بفضل التأمل في حالة عزلة أسوة ببوذا. أما بالنسبة لأتباع مذهب «ماهايانا» البوذي فإن المثل الأعلى هو «البوذيساتفا» الذي تدفعه حكمة لا متناهية (براخنا) ورحمة لا تقل عنها شأناً (كارونا) فيتخلّى عن بلوغ (النرفانا) لكي يساعد كل الأحياء في طريق الإشراق (بوذي). غير أن البوذيساتفا ليسوا من صنف الآلهة ولا من صنف القديسين أو الأولياء بالمعنى المسيحي أو الإسلامي للكلمة : إنهم لا ـ ذوات ، وجوهرهم هو الخواء (سونياتا) ـ المؤلف .

رأيت العالم يهجع على ذاته.

رأيت المظاهر.

وسمَّيْتُ نصف الساعة هذا:

كمال المتناهي.

التجلِّي

إذا كان الإنسان من غبار

فإن الغبار المتحرك في السهل

بشر

قبر الشاعر

الكتاب

القدح

الخضرة وهي برعم غامض

الأسطوانة

سرير الحسناء النائمة الموسيقى

الأشياء الغارقة في أسمائها

لو أقولها بعينيَّ

في مكان لست ادري أين

أسمِّرها

مصباح قلم لوحة رسم

ما أراه

لو أثبِّته مثل معبد حيّ

أزرعه

مثل شجرة

إله

أتوِّجُه

باسمٍ

خالد

تاج تافه من شوك

كلام!

البرعم وزهرته الوشيكة

شمس ـ لقاح ـ شمس

زهرة بلا ظل

الكلمة

تتفتح في مكان لا مكان له

امتداد نقيّ

شفافية تسند الأشياء

الهابطة

بالنظر

المنتصبة

في بريق

المعلَّقة

باقة عوالم

لحظات

عناقيد محروقة

غابات كواكب تسير

مقاطع لفظية تائهة

مدّ وجزر

جميع أزمنة الزمان

وجود

جزء من ثانية

مصباح قلم رسم

في ها هنا لست أدري أين

اسم

يبدأ

أمسك به أزرعه أقوله

مثل غابة تفكر

أجسِّده

سلالة تبدأ

في اسم

آدم

مثل معبد حيّ

اسم لا ظل له

مسمَّر

مثل إله

في هذا الهُنا الذي لا مكان له

كلام!

أنتهي في بدايته

أنتهي في ما أقول

أنتهي

وجوداً

ظلّ اسم آنيّ

أبدًا لن أعرف نهايتي

يقظة في الهواء الطلق

شفاه الريح وأيديها
قلب الماء
شجرة اليوكالبتوس
السُّحب التي تخيم
الحياة التي تولد كل يوم
الموت الذي يولَدُ كل حياة
أفرك جفنيَّ :
السماء تمشي على الأرض.

التعجُّب

ثابت

ليس على الغصن

في الهواء

ليس في الهواء

في اللحظة

عصفور «الضُّريْس»

قاصية دانية

مساء البارحة شجرةُ دردار
عندما تَهَيَّأتْ لتقول لي
شيئاً ما ـ سكَتَتْ.

خلاص

إلى سنتيو فيتير

تحت مطر الطبول
كانت قصبة الناي السوداء
تنمو تتلاشى وتخضرّ
والأشياء تنفصل عن أسمائها
وعلى حافة جسدي
كنت أسيل
بين العناصر المتفلتة.

كونشيرتو في الحديقة
(«فينا» و «مريدانغام») [1]

إلى كارمن ف . دي ماير

أمطرتْ.
الساعة عين هائلة.
فيها نسير مثل انعكاسات.
نهر الموسيقى
يتغلغل في دمي.
إن قلت : جسد، أجاب: ريح.
إن قلت : أرض، أجاب : أين ؟
يتفتح العالم زهرة مزدوجة:
حزن من المجيء
وفرح بالوجود هنا.

أمشي ضائعا في مركز ذاتي.

1- آلتان موسيقيتان من جنوب الهند (المؤلف) .

كتابة

أرسم هذه الحروف
كما يرسم النهار صوَرَه
ينفخ عليها ولا يعود

مثال

يخترق الرعد السهل
والسماء تغطي كل طيورها
شمس مسلوخة
في ضوئها الأخير
هي ذي الحجارة أخيراً حجارة
حفيف أوراق حائرة
مثل عميان يتحسسون دربهم
بعد لحظات
يمسي الليل والماء جسداً واحداً

بعينين مغمضتين

بعينين مغمضتين
تشرقين في الداخل
أنت الصخرة العمياء
ليلة بعد ليلة أشكّلُكِ
بعينين مغمضتين
أنت الصخرة الخالصة
نصير هائلين
فقط لنتعارف
بعينين مغمضتين

مفتاح الماء

ما بعد «ريشيكاش»
لا يزال نهر الغانج أخضر.
الأفق الزجاجي
يتهشم ما بين القمم.
نمشي على البلور
في الأعلى وفي الأسفل
خلجان هدوء كبيرة.
في الفضاءات الزرقاء
صخور بيضاء، سحب سوداء.
قلتِ :
«هذه البلاد ثرَّة الينابيع».
في الليل غطّست يديَّ في نهديكِ.

محور

عبر قناة الدم
جسدي في جسدك
ينبوع ليل
لساني الشمسي في غابتك
يجبل جسدك
قمح أحمر أنا
عبر قناة العظام
أنا ماء أنا ليل
أنا غابة تتقدم
أنا لسان
أنا جسد
أنا عظم شمسي
عبر قناة الليل
ينبوع أجساد
أنتِ ليل القمح
أنت غابة في الشمس
أنت ماء ينتظر
أنت تجبلين العظام
عبر قناة الشمس
ليلي في ليلك

في شمسك شمسي

تعجنين قمحي

غابتك في لساني

عبر قناة الجسد

الماء في الليل

جسدك في جسدي

ينبوع عظام

ينبوع شموس

حكاية بستانين

إن بيتاً أو بستاناً
ليسَا مكانيْن:
إنهما يدوران، يذهبان ويؤوبان.
تجلّيهما
يفتح في الفضاء
فضاءً آخر،
زمناً آخر في الزمن.
احتجابُهما
ليس تنحّياً:
يحرقنا
ألقُ إحدى تلك اللحظات
لو دام لحظة أخرى.
حُكِمَ علينا
أن نقتل الزمن :
هكذا نموت ،
قليلاً قليلاً.
إن بستاناً ليس مكاناً.
عبر درب رملي محمرّ
نَلِجُ قطرة ماء،
نشرب في داخلها شفافية خضراء،

عبر لولب الساعات

نصعد

حتى قمة النهار

ننزل

حتى استنفاد رماده.

ينساب البستان في الليل،

نهرَ هدير.

بستان «ميهكواك» المهجور

المملوء بالندوب،

كان جسداً

على وشك الانهيار.

كنتُ طفلاً

وكان البستان يشبه جدي.

أتسلق ركبتيْه النباتيتين

وهو يجهل اليأس من شفائه

أما البستان فكان يعرف :

كان ينتظر خرابَهُ

كما ينتظر المحكومُ البلطة.

كانت شجرة التين هي الإلهة ،

الأم.

طنين الحشرات الغضوبة

طبول الدم الصماء

الشمس ومطرقتها،

العناق الأخضر من أحضان لا تحصى

حزّةُ الجذع :

ينفرج العالم.

حسبت أني رأيت الموت :

رأيت

الوجه الآخر للوجود،

الوجه الخاوي،

الألق الثابت بلا صفات.

على قمة «أجوسكو» تتزاحم

الوفود البيضاء.

وتسودّ

في الحال كتلة ضاربة إلى البنفسجي،

حدبة هائلة تتمزق:

ركض المطر يجوب السهل كله.

مطر على الحمم :

الماء يرقص

على الحجر المدمَّى.

نور، نور:

جوهر الزمن وابتكاراته.

شهور كما المرايا،

تتعكس إحداها في الأخرى ، وتنتفي.

أيام حيث لا شيء يحدث،

تأملُ آكلِ نملٍ

وأعماله تحت الأرض

طقوسه الضارية.

مستغرقاً في النور القاسي

كنت أكفِّر عن جسدي ـ آكِلِ النملِ ،
أراقب
صرح هلاكي المحموم.
غمِدُ الأجنحة: نشيد الحشرة المسنون
يقطع الأعشاب اليابسة.
صبَّارٌ معدنيٌّ،
تلك العظايات الزئبقيَّة على الجدران اللِّبنيَّة،
والطائر الذي يثقب الفضاء،
ظمأ، قلق، رياح سموم،
أعياد للريح لا تدرك.
علَّمتني أشجار الصنوبر كيف أتكلم وحدي.
وفي هذا البستان تعلمتُ كيف أقول لنفسي وداعًا.
ثم اختفت البساتين.
ذات يوم ،
كما لو أنني عدتُ ،
ليس إلى بيتي،
بل إلى بداية البداية ،
بلغتُ نورًا.
فضاء هو هواء
لألعاب هائمة
بين الماء والنور.
تقاطعات شفَّافة :
من الأخضر الغضّ
إلى الأزرق الرطب
إلى الرماديّ المتَّقد

إلى أشدِّ الورود نزيفًا

إلى ذهبٍ حديثِ النَّبْش.

سمعت حفيفاً أخضر أسود

ينبثق من قلب الليل: شجرة «النّيم».

على كتفيها،

الشمس

وجواهرها المتوحشة.

كانت الحرارة يداً هائلة تنقبض،

فيُسمع لهاثُ الجذور،

تمدُّدُ الفضاء،

وانهدام السنة.

والشجرة لا تنهار.

عظيمة كما تمثال للصبر

دقيقة كميزان يزن

قطرة الندى،

حبة الضوء

اللحظة.

إلى حضنها تركن عدّة أقمار.

بيت السناجب ،

مَضَافَةُ الشحارير.

القوة وفاء ،

القدرة خضوع :

لا أحد يبلغ غايةً في ذاته ،

كل واحدٍ هو كلٌّ

في كلٍّ آخر ،

في واحد آخر.

الآخر في الواحد

والواحد هو آخر:

نحن كوكبة نجوم.

شجرة النيم❖ العظيمة ،

تعرف كيف تكون صغيرة ،

عند قدميها

أدركت أنني حيٌّ ،

أدركت

أن الموت هو الكِبَر

أن النفي نموّ.

تعلَّمْتُ ،

في إخاء الأشجار ،

كيف أتصالح ،

ليس مع ذاتي:

مع ما يرفعني ، يسندني ، ويتركني أسقط

التقيت فتاة .

عيناها:

ميثاق شمس الصيف مع شمس الخريف.

هي: هاوية بهلوانات ، وفلكيين وجمَّالين.

أنا: هاوي حُرَّاس منارات ، وعلماء منطق وزنادقة.

جسدانا

تحادثًا، تواصلاَ وكانا

❖ النيم : El nim : شجرة تشبه الدردار.

فكُنَّا.

وكانت الرياح موسمية.

سموات من عشب ممضوغ

والريح مرهفة بالدموع

في مفارق الدروب.

وكما بنية صغيرة في خرافة ،

مبحرة في مستنقع بركة هائجة

دعوتها «ألماندريتا».

وذلك ليس اسماً:

بل زوق شراعي عنيد.

كانت الأرض تكتسي وتتعرّى ،

والثعابين تخرج من جحورها ،

كان القمر من ماء ،

والشمس من ماء ،

والسماء تحلّ ضفائرها

فإذا هي أنهار تتدفق

وتغمر القرى ،

فيختلط الموت بالحياة ،

مزيج وحل وشمس ،

فصل شبق ووباء

فصل شعاع على شجرة الصندل

كواكب تناسلية مقتلعة

تتعفّن

ثم تُبعث في فرجك ،

أنتِ أيتها الهند الأم ،

الهند الابنة ،

المغمورة بالنسغ وبالمنيّ ، بالعصير وبالسموم

تغطّى البيت بالحراشف.

ألماندريتا :

شعلة بكر ما بين وميض وزوبعة ،

في ليل أوراق الموز ،

جمرة خضراء ،

جنية الشجرة ،

«ياكشي»❖ :

ضحكات في الأدغال

حفنة بياض في العمق ،

موسيقى

أكثر مما هي جسد ،

شدو طائر أكثر منها موسيقى

امرأة أكثر مما هي طائر:

بطنك شمس ،

شمس في الماء ،

ماء شمسيّ في جرّة ،

حبّة عباد الشمس زرعتها في جسدي ،

عقيق ،

سنبلة لهيب في بستان عظام.

طلَبَ «شوانغ ـ تسو» من السماء نيِّريْها

ومن الريح صنجتيْها ،

❖ ياكشي : ربّة الأشجار والنبات .

من أجل جنازته.

أمّا نحن ، فطلبنا من شجرة النيم أن تزوجنا.

إن بستانًا مّا ليس مكاناً:

هو توقف ،

وهوىً.

لسنا نعلم إلى أين نمضي ،

يكفينا أن نمرّ

فالمضيّ مكوث:

ثبات مدوّخ.

الفصول ،

اصطخاب أمواج الشهور.

كل شتاء

شرفة على السنة.

ضوء مسنون

أصداء ، شفافية ،

منحوتات هواء

ما إن ننطق بها حتّى تتلاشى:

مقاطع لفظية ،

جزر سعيدة!

القطّ ديموستين

مرصع في العشب ، فَحْمَة مضيئة ،

القطة سميراميس تتابع أوهاماً ،

وهي تترصد

الانعكاسات والظلال والأصداء.

وفي الأعالي ،

سخرية الغربان ؛

ديك الأحراج وأنثاه

أميران منفيان؛

الهدهد

منقار وبلشون أبيض ، إبرة مزدهية؛

سلاح المدفعية الخضراء من إناث الببغاء

الخفافيش بلون الليل الموشك.

في السماء

ناعمة ، ثابتة ، فارغة

حدأة

ترسم دوائر وتمحوها.

والآن ،

ثابت

على ذروة موجة

طائر قطرس ،

صخرة من زبد.

يتشتت فوراً

بجناحين.

لسنا بعيدين عن «دوربان»

(وفيها دَرَسَ بيسُوَا) .

التقينا ناقلة بترول :

كانت تبحر إلى مومباسًّا ،

ذلك الميناء الذي له اسم ثمار.

(في دمي:

كامونس ، فاسكو دي غاما والآخرون...)

ظل البستان في الوراء.

الوراء أم الأمام؟

ما من بساتين أخرى سوى تلك التي نحملها فينا.

ماذا ينتظرنا على الضفة الأخرى؟

هوى وعبور:

الضفّة الأخرى هنا ،

ضوء في هواء بلا ضفاف ،

«براجناباراميتا» (1) ،

مَرْيَمُنا العذراء في الضفّة الأخرى ،

أنت ذاتك ،

بنيّة الخرافة ،

مريد البستان.

نسيتُ «ناغارجونا» و«ذارماكيرتي»

على نهديك ،

والتقيتهما في صرختك ،

«مايثونا»(2)

اثنان في واحد ،

واحد في كلّ ،

كلّ في لا شيء ،

«سونياتا»(3)

1- براجناباراميتا : براجنا هي الحكمة وباراميتا هي الكمال.

2- مايثونا : الأزواج الشهوانيون المرسومون على جدران عدة معابد بوذية وهندوسية: الاتصال الجنسي ، طريق الإشراق في البوذية والهندوسية عبر التقاء كارونا (الهوى) وبراجنا (الحكمة). كارونا هي القطب المذكر للواقع وبراجنا القطب المؤنث. واجتماعهما هو السونياتا : الخواء... فارغ من خوائه.

3- سونياتا : كلمة تدل على المفهوم الرئيسي في البوذية المادياميكية.

امتلاء فارغ ،

خواء مكتنز مثل وركيك!

طيور البجع

فوق مستنقع ضياء

تصطاد ظلالها.

الرؤية تتلاشى في دردور الماء

مروحة من سبعة عشر مقطعاً لفظياً

مرسومة على البحر

وليست من أجل «باشو» :

بل لعينيَّ ، للشمس وللطيور ،

في هذا اليوم ، حوالي الرابعة مساء ،

على ساحل موريتانيا.

انفجرت موجة :

فراشات ملح.

تحوّل التماثل

في هذه الساعة تماماً

دلهي وحجارتها الحمراء ،

نهرها العكر

قبابها البيضاء ،

قرونها الممزقة ،

تتغير:

هندسات بلا ثقل ،

تبَلْوُرات ذهنية.

تلاشٍ ،

دوارٌ عالٍ فوق مرآة.

البستان يتلف.

إنه الآن اسم بلا مسمّى.

تمَّحي العلامات :

أنظر إلى الصفاء .

«فرَانْدَابَانْ»

محاطاً بالليل
أوراق هائلة الحفيف
ستائر رحبة لا يدركها اللمس
أنفاس
أكتب أتوقف
أكتب
(الأشياء توجد ولا توجد
كل شيء ينحل بلا ضجة
على الصفحة)
منذ لحظات
كنت أتقدم في سيارة
ما بين البيوت المطفأة
كنت أتقدم
ما بين أفكاري المنيرة
وفي السماء النجوم
حدائق جدّ رائعة
كنتُ شجرة وتكلمت
مغطى بأوراق وعيون
كنت الحفيف سائراً
ينبوع صور

(الآن أرسم بعض علامات

متشنجة

أسود على أبيض

بستان حروف في منتهى الصغر

مزروع تحت ضوء مصباح)

كانت السيارة تتقدم

على امتداد الشوارع النائمة أتقدم

أقتفي آثار أفكاري

أفكاري وأفكار الآخرين

تذكُّرٌ بقاء رسوم

أسماء

غبار الشرر

وضحكات العيد

رقصة الساعات

مسيرة النجوم

وأماكن أخرى مشتركة

أأصدق النجوم أم أصدق البشر ؟

أصدق

(هنا توضع نقاط

توقف)

أرى

رواقاً بأعمدة متآكلة

تماثيل نحتها الطاعون

طابوريْ شحّاذين

والعفونة

ملكة على عرشها
يحيط بها
كما البطانة
عبق الأريج
الخالص المتموج النائس
من الصندل إلى الياسمين وأشباحه
عفونة
حمّى أشكال
حمّى الزمان
وهو ينشر فتنته
الكون ينشر كالطاووس ريش ذنبه
عيون لا تحصى
مرايا عيون
تدرجات انعكاسات عين واحدة
شمس متوحدة
تحجب
معطف شفافيتها
مدَّ أعاجيبِها
كل شيء يتوقد
الحجارة النساء الماء
كل شيء يتشكل
من اللون إلى الشكل
من الشكل إلى الشعلة
كل شيء يتلاشى
موسيقى المعدن والخشب

في صومعة الإله

رحم المعبد

موسيقى شموس متشابكة

موسيقى

عناق الماء والريح

وفوق العناصر المتأوهة

في امتزاجها

صوت الإنسان

مثل قمر النّزوِ في سماء الظهيرة

شكوى الروح وهي تفصل عن الجسد

(أجهلُ خاتمةَ

ما أكتب

أبحث بين السطور

صورتي هي المصباح

المضاء

في منتصف الليل)

ومثل بهلوان

قرد المطلق

المحو

يجلس القرفصاء

وقد غطاه رماد شاحب

«سادو» * ينظر إليَّ ويضحك

من ضفته ينظر إليَّ

---

* سادو : ناسك متجوّل ليس له مقر ثابت.

بعيداً بعيداً
كما تنظر البهائم إلى القديسين
عارياً ومشعثاً
بريق معدني
نظرته الجامدة
أردت التحدث إليه
أجابني متذمراً
رحلتُ رحلتُ
إلى أين ؟
إلى أي منطقة من الوجود
أي وجود ، إلى تقلبات أيٍّ كون
في أية ديمومة ؟
(أكتب
كل كلمة برعم
الذاكرة
تثابر على ارتدادها
وتجترّ ظهيرتها)
رحلتُ رحلتُ
قديس ، قديس محتال
أهي نشوة الجوع أم نشوة العقار
أو ربما لاح له «كريشنا»
شجرة زرقاء متلألئة
نافورة ماء في جفاف الليل
منبجسة من فرجة صخرة
ربما لامس الشكل الأنثوي

وشقه

دوار لا شكل له

من يدري لماذا

يستقر على الجرف حيث يُحرق الموتى.

الشوارع المنعزلة

البيوت وظلالها

كل شيء كان مختلطاً

كل شيء كان جلياً

السيارة تتقدم

كنت بلا حراك

بين أفكاري

(رحلتُ رحلتُ

أيها القديس البهلول ، القديس الشحّاذ ، الملك الملعون

فالأمر سيان

سيان دائماً

سيان

هنا أم هناك بقاؤك في الذات

محبوساً في الذات

على ذاتك منغلق

أيها الصنم المتعفن)

رحلت رحلت

من ضفته ينظر إليَّ

ينظر إليَّ

من ظهيرته التي لا تنتهي

أنا في الساعة المتقلبة

السيارة تتقدم بين البيوت
أكتب على ضوء مصباح
ليس عن المطلق أو الخلود وما حواليهما
كلامي
أتضور من جوع للحياة وللموت
أعرف بما أعتقد وأكتبه
الفعل
مجيء اللحظة
الحركة التي ينتصب فيها الكائن الكلي
وينحلّ
إحساسا وأياديَ للإمساك بالزمن
أنا تاريخ
ذاكرة تبدع ذاتها
لست وحدي أبداً
أحدثك دائماً تحدثني دائماً
أتقدم في الظلام وأزرع علامات.

GOLDEN LOTUS

(1)

ليست جمرًا

ولا شعاع جريز [1]

شحنة الجيمنوت [2]

أو بالأحرى ، صريف

الحرير

وهو يتمزق.

(2)

على مائدة تبرُّجها

وهي مثل عش نحل بلَّوري

تنام كل الأشياء

ما عدا المقص.

(3)

في منتصف الليل

تسكب

في أذن عشَّاقها ،

ثلاث قطرات من نور بارد.

1- الجريز : خمرة أندلسية.

2- الجيمنوت : أسماك تعيش في المياه العذبة في أمريكا اللاتينية وتتميز بطولها(قد يبلغ المترين ونصف المتر) وبشحنتها الكهربائية التي تصرع بها فريستها (م) .

(4)

تنساب ، صفراء ، كهربائية

في حوضها : البهو .

ثم تلمع ،

ثابتة ،

حمقاء ، مثل حجرٍ كريم.

هيماشال برادش [1]

حضارتنا

(مجتزّ ، متكرش)

هي الحضارة الأقْ.. ق.. ق.. دَ.. م

(*لباسه الزَّعفراني*

في درب *الماعز* : شعلة)

في العالم!

(متحركة)

هذه الأرض

(ووقع *صندله*

على *إبر الصنوبر الجافة*)

مقدَّسة :

إنها أرض (*كأنه يمشي*)

قوم «الفيدا»[2] :

(على *رماد*) الإنسان

(*بسبَّابته*)

بدأ يفكِّر (وبحزم)

منذ خمسة آلاف سنة

1- هيماشال برادش : منطقة شمال الهند ، عاصمتها سيملا.

2- الفيدا : كتاب براهما.

(دلَّني البَنْديتْ) [1]

هنا...

(على الهمالايا

- نهاية العصر الثلثي ،

أحدث جبال الكوكب .)

1- البَنْديتْ : (Pandit) لقب رجل الدين البرهمي في الهند .

نهار

الحجارة زمنٌ

الريح

قرون من الريح

الأشجار زمن

البشر حجر

الريح

تنعطف تلتفُّ على ذاتها وتندفن

في نهار الحجارة

لا يوجد ماء لكنَّ العيون تلمع

وفاق

إلى كارلوس فوينتس

الماء في الأعلى
الغابة في الأسفل
الريح عبر الدروب

طمأنينة البئر
الدلو أسود والماء صاف

الماء ينزل حتى الأشجار
السماء تصعد حتى الشفاه

خطوات «تانغي غارو»

أرض مجرَّحة :
ترك الشتاء عليها آثار أسلحته ،
لباسُ الشوكِ هو الربيع
تلالٌ من أحجار «الميكا»❖ . عنزات سود ،
تحت حوافرها المروبصة
يلمع الحجر المتبلور مطلقًا .

شمس ثابتة ، مسمَّرة
في ندبة الحجارة الهائلة ،
الموت يفكر فينا .

❖ الميكا : حجر لامع ذو صفائح (م)

هو ذاته

(أنطون فيبرن 1883 - 1945) (❖)

فضاءات

فضاء

بلا مركز بلا أعلى بلا أسفل

يتآكل يتوالد ولا ينتهي

فضاء يدَوِّم

ويسقط نحو الأعلى

فضاءات

أنوار مقطوعة عموديًا

معلَّقة

على خاصرة الليل

حدائق سوداء من بلور صخري

أزهرت على سارية دخان

حدائق بيضاء تذوب في الهواء

فضاءات

فضاء واحد ينفتح

تُوَيْجًا

وينحلُّ

فضاء في الفضاء

❖ موسيقار نمساوي (م) .

كل شيء هو لامكان

مكانُ أعراس لا يدركها اللمس

حيث لا أحد

ما من
روح
بين الأشجار
وأنا
لست أدري إلى أين ذهبت.

فتُوَّة

وثبة الموجة

أكثر بياضًا

كل ساعة

أكثر اخضرارًا

كل نهار

أكثر فُتُوَّة

الموت

قراءة جون كيج

أقرأ

وأستقرئ :

(موسيقى بلا ضوابط

أصوات تجتاز الظروف) (1)

وأنا أسمعها

تمرُّ في الخارج

في الخارج أراها

تمرُّ معي.

أنا الظَّرف.

موسيقى :

أسمع في الداخل ما أراه في الخارج

أرى في الداخل ما أسمع في الخارج

(لا يمكنني أن أسمعني أسمع : دي شامب)

أنا

صَرْحُ أصوات

آنيَّةٍ

فوق

فضاء يتفتت.

(كل ما يصادفنا

يكون في محله.)

1- هذه التضمينات وما يليها ـ ما عدا المنسوب إلى دي شامب ـ وردت بالإنكليزية في الأصل وهي للموسيقي الأمريكي جون كيج (المترجم) .

الموسيقى

تبدع الصمت ،

فن العمارة

يبدع الفضاء.

معامل هواء.

الصمت

فضاء الموسيقى:

فضاء

بلا امتداد:

ليس صمتاً

سوى في الذهن.

الصمت فكرة ،

هو الفكرة الثابتة في الموسيقى.

ليست الموسيقى فكرة:

إنها حركة ،

أصوات تزحف على الصمت.

(ما من صوت واحد يخافُ

الصوتَ الذي ينفيه)

الصوت موسيقى

وليست الموسيقى صمتاً.

النيرفانا هي سمسارا

وليست السمسارا «نيرفانا».

المعرفة ليست معرفة:

هي تغطية الجهل ،

معرفة المعرفة.

سماع

خطى هذه الظهيرة

ما بين البيوت والأشجار

ليس كما

رؤية الظهير ذاتها الآن

ما بين البيوت والأشجار ذاتها

بعد القراءة

صمت:

النيرفانا هي سمسارا

الصمت موسيقى.

(*دع الحياة تحجب*

الفرق بين الفن والحياة .)

الموسيقى ليست صمتاً:

ليست قولَ

ما يقول الصمت ،

هي قولُ

ما لا يقوله.

ليس للصمت معنى

ليس للمعنى صمت.

ما بين الاثنين

تنساب الموسيقى فلا يدركها الحس

(*كل شيء هو صدى لا شيء .*)

في صمت غرفتي

ضجة جسدي :

غير مسموعة.

سوف أسمع ذات يوم أفكاره.

العصر

ثابت:

لكنه يتقدم.

جسدي يسمع جسد امرأتي

(سلِّك أصوات)

ويجيب:

هذا يُدْعَى موسيقى.

الموسيقى واقع حي ،

الصمت فكرة.

جون كيج ياباني

وليس فكرة:

هو شمس على الثلج.

ليست الشمس والثلج شيئاً واحداً :

الشمس ثلج والثلج ثلج

أو

الشمس ليست ثلجاً ، الثلج ليس ثلجاً

أو

جون كيج ليس أمريكيّا

(الولايات المتحدة الأمريكية مصرة على إبقاء العالم الحّر حرّا

الولايات المتحدة الأمريكية تحدَّدَتْ)

أو

جون كيج أمريكي

(ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية

يمكن *أن تصبح جزءًا آخر من العالم* فحسب

لا أكثر ولا أقل.)

الثلج ليس شمساً

الموسيقى ليست صمتاً

الشمس ثلج

الصمت موسيقى

(ينبغي أن يكون *الموقف* نعم و لا

وليس إما هذا و إما ذاك)

بين الصمت والموسيقى

الفن والحياة

الثلج والشمس

يوجد إنسان

هذا الإنسان هو جون كيج

(حدّد

بأنه *لا وجود لشيء في الوسط)*

قال كلمة

ليست ثلجاً و لا شمساً

كلمة

ليست

صمتاً :

سوف تسمعها بعد سنة بدءاً من يوم اثنين . (1)

الظهيرة فجأة : غير مرئية .

1- ورد هذا السطر قبل الأخير بالإنكليزية أيضاً ، لكن من دون تضمين (م) .

سوناتا

في التخوم
صوفان
الفضاء المحترق
صعود الشجرة الأصفر
دوامة عقيق
حضور يتلاشى
في مجد بلا جوهر
من ساعة إلى ساعة تتساقط
أوراق النهار
وليس هو الآن
سوى جذع وذبذبات
تتلاشى
وفي أحضان هذا القدر
من الغبطة اللامبالية
يلوح النهار
كاملاً ومتماثلاً
النهار ذاته الذي يمضي
ما بين يديّ
هو ذاته
جمرة على جفنيّ
النهار الشجرة

معك

هبّة فيروزية

وتهرب الببغاوات أزواجاً

حميّا

العالم يلتهب

شجرة

تغلي غرباناً

تشتعل ولا تحترق

ثابتة

بين عباد الشمس العالي

أنتِ

توقُّف النور

النهار

كلمة رحبة نيّرة

خفقات حروف صوتية

نهداك

ينضجان تحت عيني

فكري

أخفّ من الهواء

أنا واقعي

أرى حياتي أرى مماتي

العالم واقعي

أرى

أسكن الشفافية

مرور

أكثر من الهواء

أكثر من الماء

أكثر من شفاه

خفيفة خفيفة

جسدك أثرٌ لجسدك.

مجرى نهر

اسمعي اختلاج الفضاء
إنها طبول الصيف
خطوات الفصل في نزّوهِ
على جمر السنة
إنها ضجة أجنحته وأفاعيه
وتحت أثوابه التي من جذور وحشرات
تطقطق الأرض
يستيقظ العطش ويرفع
أقفاصه البلورية الكبيرة
هناك تنشدين أغنيتك الغاضبة
أغنيتك السعيدة
كماءٍ أسير
تغنين عارية
مرقشة النهدين والبطن
ووجهك من لقاح
وعلى المشهد الملغى
ظلك بلادٌ من طيور
تشتتها الشمس
بحركة

غزليّة

أشفّ

من قطرة ماء

بين أصابع النبتة المعرّشة

تمد فكرتي جسراً

منك إليكِ

انظري إليكِ

حقيقية أكثر من الجسد الذي تسكنين

ثابتة تتوسطين جبيني

وُلدّتِ من أجل العيش في جزيرة.

ذروة وجاذبية

ثمة شجرة ثابتة
وأخرى تتقدم
نهر أشجار
يقرع صدري
إنها الفرحة
الموجة الخضراء
ترتدين الأحمر
أنت خاتم
السنة المضطرمة
جمرة جسد
كوكب ثمرة
شمس آكلها
الساعة تهجع
على هوَّة الضياء
الطيور حفنات ظل
مناقيرها تبني الليل
أجنحتها تسند النهار
مزروعة على ذروة النور
ما بين الثبات والدوار
أنتِ
الميزان الشفاف

حاضر

على انعكاس الحجر
منجم ملح عمودي
زرقة متحجرة
يتواصل سقوط الستار
(في الخارج
الشمس تقاتل البحر)
أرض الآجرّ
متنفّسة تتنفس
النافذة المائدة السرير
والزرقة الآن تتمدد وتمتد
تسند
وسادةً وردية طفلة
لا يزال فستانها الشمعي دافئاً
عيناها
منفرجتان
ليس من الانتظار
بل من زيارة العذراء
قدماها حافيتان
الفضة الثقيلة تضمُّها
تبرّد ذراعها العارية

على نهديها القويين يرقص خنجر الشمس

على بطنها

سموّ وشيك

طابور نمل أسود

ذبذبةُ

جسدٍ روح لون

عسل محترقٍ

العسل الأسود

في توهج شقائق النعمان

شقائق النعمان السوداء

تفتح

عينيك

أنت شمس ظمأى

ريح البدء

الحاضر أبديّ
الجبال من عظام وثلج
وهي هنا منذ البدء
الريح حديثة الولادة
لا عمر لها
كما النور كما الغبار
طاحونة ضجيج
السوق تدور كما زهرة الشمس
أجراس محركات أجهزة راديو
العدْو الحجري للحمير البليدة
الأغاني والشكاوى تتشابك
في لحى الباعة
ألقٌ عالٍ تنحتُه دقات المطرقة
في بياض الصمت
ينفجر
صراخ الأطفال
أمراء الأسمال
على ضفة النهر المضطرب
يصلّون يتبولون يتأملون
الحاضر أبديّ

تنفتح أبواب السنة

يثب النهار

عقيق

هو الطائر الذي حطّ

بين شارع «مونتالمبرت» وشارع «الباك»

فتاة

ثابتة

على هاوية نظرات

إذا كان الماء ناراً

شعلة

وسط الساعة المستديرة

منبهرة

مهرة شقراء

حزمة شرر

فتاة حقيقية

مابين البيوت والجمهور الشبحي

حضور انبجاس وضوح

أعيش من خلال أفعالي اللاواقعية

أمسكت بها من يدها

معاً

اجتزنا الفضاءات الأربعة والأزمنة الثلاثة

شعوب انعكاساتٍ ضوئية تائهة

لنعود إلى يوم البدء

الحاضر أبدي

21 حزيران

اليوم يبدأ الصيف
طائران أو ثلاثة
يخلقان بستاناً
تقرئين وتقضمين درَّاقة
على السجادة الحمراء
عارية
كالخمرة في إبريق زجاجي
رفّ غربان
في سانتو دومنغو يموت إخواننا
لو كانت هناك ذخائر لما كنتم هنا
أما نحن فنقضم أصابعنا ندماً
في حدائق قصره الصيفي المحصّن
زرع السلطان «تيبو» شجرة اليعاقبة (1)
ثم وزع قِطعاً زجاجية
على الضباط الإنكليز المسجونين
وأمر بأن يقطع كلٌّ منهم قلفة عضوه التناسلي
ويأكلها
اشتعل العصر
فوق أراضينا
وعلى ضوئه
سوف يشيد بناة الكاتدرائيات والأهرام
بيوتهم الشفافة

1- هو السلطان تيبو صاحب (أو صايب) وكان يحكم مقاطعة ميسور الهندية (1749-1799) ثم هزمه الإنكليز(المترجم).

بأيدٍ مضطرمة

الحاضر أبدي

نامت الشمس بين نهديك

السجادة الحمراء سوداء تختلج

ليس اسمك كوكباً ولا جوهرة

بل هو ثمرة

اسمكِ تمرة

«داتيا»

قصر النجاة

بقعة أرجوانية

على الحجر الصلب

أروقة شرفات سلالم

قاعات عرس مدمرة

من برج العقرب

أصداء إعادات

ساعات شهوانية

توقُّف

تجوبين

الفِناءات الصامتة تحت ظلال المساء الكافر

معطف إبر على كتفيك السَّليمتين

إذا كانت النار ماء

فأنت قطرة شفافة

فتاة حقيقية

شفافية العالم

الحاضر أبدي

الجبال

شموس مقطعة

عاصفة مغراء متحجرة

الريح تمزّق

الرؤية جارحة

السماء هاوية أخرى أعلى

مضيق «سالنغ»

عارٍ أسود على صخر أسود

قبضة الدم تدق

أبواب الحجارة

في هذه العزلة الصعبة المنحدرة

وحده الماء إنساني

وحدهما عيناك من ماء بشري

في الأسفل

في الفضاء المصدع

تغطيك الرغبة بجناحيها الأسودين

تتفتح عيناك وتتغلقان

حشرتين مضيئتين

في الأسفل

المضيق الحارق

الموجة تتضخم وتتحطم

ساقاك منفرجتان

وثبة بيضاء

زبد جسدينا المهجورين

الحاضر أبدي

كانت القبة تسقي قبر الولي
لحيته أبيض من غمامة
أمام شجرة التوت
قرب منحدر السيل
أعدتِ النطق باسمي
مقاطع لفظية مبعثرة
وهبكِ مراهقٌ ذو عينين خضراوين
رمّانة
وعلى الضفة الأخرى من «الأموداريا»
كانت الأكواخ الروسية تدخن
وأنغام ناي الأوزبك
نهر آخر لا يُرى وهو أنقى
وعلى القارب كان الربان يخنق فراريج
البلاد يد مبسوطة
خطوطها
حروف أبجدية مكسّرة
عظام أبقار في السهل
بكتريان (1)
تمثال مدمر
جمعت بضعة أسماء من الغبار
وعلى تلك المقاطع المبعثرة
حبات رمانة من رماد
أقسمت أن أكون تراباً وريحاً

1- بكتريان: اسم بلاد قديمة في آسيا ، شمال أفغانستان حالياً ، كان يحكمها مرزبان فارسي. (م)

إعصارًا

على عظامك

الحاضر أبدي

يدخل الليل متبوعاً بكل أشجاره

ليل حشرات كهربائية ووحوش من حرير

ليل أعشاب تمشي فوق الموتى

اقتران مياه تأتي من بعيد

هدير

الأكوان تتفتت

يهوي عالم

تشتعل بذرة

تخفق كل كلمة

أسمعكِ تتنفّسين في الظل

لغز على شاكلة ساعة رملية

امرأة نائمة

فضاء فضاءات حية

عالم حي

هيولى أمومية

منفية عن ذاتها أبداً

تسقط بلا نهاية في جوفها الفارغ

عالم حي

أمّ الأجناس التائهة

أمّ الشموس والبشر

ترحل الفضاءات

الحاضر أبدي

وعلى ذروة العالم يتداعب
«شيفا» و«برفاتي»
كل لمسة تدوم قرناً
للإله وللإنسان
زمن واحد
سقطة واحدة
لاَهُورْ
نهر أحمر وزوارق سوداء
بين شجرتي تمر هندي طفلة حافية القدمين
نظْرتُها خارج الزمن
رفّات متشابهة
موت وولادة
بين السماء والأرض
بضع حورات معلقة
ذبذبة نور أكثر منها حفيف أوراق
أتصعد أم تنزل ؟
الحاضر أبدي
إنها تمطر على طفولتي
تمطر على حديقة الحمّى
زهور صوانية أشجار دخانية
وفي ورقة تين تبحرين
على جبيني
لا يبلّلك المطر
أنت شعلة الماء
قطرة النار الشفافة

على جفنيّ ترتعش

أرى من خلال أفعالي الوهمية

النهار ذاته وهو يبدأ

الفضاء ينعطف

العالم يجتثّ جذوره

لا يَزِنَانِ أكثر من الفجر ، جسدانا

المتمدِّدَان

«مايثونا»

عيناي تكتشفانك
عارية
وتغطيانك
بمطر يشعّ
نظراتٍ
قفص أنغام
مفتوح
في وضح الصباح
أبيض
من ردفيك
في عمق الليل
ضحكتك
أو بالأحرى أوراقك
قميصك القمري
لدى القفز من السرير
نور مبعثر
اللولب الشادي
يحلّ البياض
مروحة
حرف X مزروع في هاوية

نهاري

في ليلك

تتفجر

صرختك

مرصعة بالنجوم

الليل

يبعثر

جسدك

يرتد

أجسادك

تتعانق

جسدك مرة أخرى

ساعة عمودية

الجفاف

يدير عجلاته مثل مرايا

بستان صفائح

وليمة أوهام

عبر هذه الانعكاسات

تدخلين

سليمة

في نهر يديَّ

أشدّ من الحمى

تسبحين في الظلمة

ظلك أجْلَى

بين اللمسات

جسدك أدهم

تندفعين

على حافة الاحتمال البعيد

مزلجةَ لماذا متى كيف لو

ضحكتك تشعل فستانك

ضحكتك

تغرق جبيني عينيَّ براهيني

جسدك يشعل ظلك

تتأرجحين على أرجوحة الخوف

أهوال طفولتك

تنظر إليَّ

من عينيك الهاويتين

المفتوحتين

أثناء الجِماع

على الهاوية

جسدك أجلى

ظلك أدهم

تضحكين فوق رمادك

لسان «بورغوني» كشمس جالدة

لسان يلعق بلادك ذات الكثبان الأرقيّة

شَعر

لسان هو سيور سوط

ألسنةٌ لغات

تطلق على كتفيكِ

تتشابك

فوق نهديك

كتابة تكتبك

بحروف مسنونة

تنفيك

بعلامات من جمر

كساء يعرِّيك

كتابة تكسوك ألغازًا

كتابة فيها أندفن

شَعر

ليل هائل يفاجئ جسدك

جرَّة خمر ساخنة

مُراقة

على ألواح التشريع

عقدة صياح وغمامة صمت

عنقود ثعابين

عنب

تسحقه

خطوات القمر الجامدة

مطرُ أيادٍ أوراقٍ أصابع ريح

على جسدك

جسدي جسدك

شَعرٌ

أوراق شجرة العظام

الشجرة ذات الجذور الهوائية التي تشرب ليلاً من الشمس

الشجرة الجسدية الشجرة الفانية

أفتح

شفتيَّ ليلِكِ

مسيل رطب

أصداء

كمون الوجود :

بياضٌ

مفاجئ

لماءٍ

مندفعٍ

أنام أنام فيك

أو أستيقظ أفضل

أفتح عينيَّ

في وسطك

أسود أبيض أسود

أبيض

أكون شمسَ أرَقٍ

تحرق ذاكرتك

(وذاكرتي أنا

في ذاكرتك)

جديدًا من رماده ينطلق

نُسُغٌ

(ناعمة أطرقكِ

شعلة)

الجذع

يتدفّق

(يثلج

جمرًا)

زهرة

لساني (تتوهج

في الثلج

وردتك)

يزهر

هوذا

(ختم فرجك

الفجر

لاح

رسالة إلى ليون فيليب [1]

ليون

الرمز الفلكي الخامس في سماء البروج

الأسد [2]

وجه الشمس

والشمس وجه رجل

«صول» [3]

النغم الخامس في السُّلم

الموسيقيّ

الشمس الخامسة

مركز الحركة

ليون

فيليب يا صديقي العزيز

طاب نهارك

اليوم جاءت الشمس مع قصيدتك

1- ردًا على القصيدة ـ التحية وعلى رسالته المتعلقة بعدم لقائنا في موسكو ، في الربيع الماضي (1967) المؤلف.

2- ارتأيتُ إدراج هذه القصيدة ـ وإنْ كانت ذات علاقة بشعر المناسبات ـ لأنها تقدِّم للقارئ فكرةً عن مفهوم الشعر لدى أوكتافيو باث. وتجدر الإشارة إلى أن مطلع القصيدة تضمَّن جناسًا وتلاعبًا بالكلمات فيما يخص اسم ليون الذي يعني حرفيًا : «الأسد» (المترجم) .

3- كذلك كلمة sol فهي تعني «شمس» بالإسبانية كما تدل على نغمة «صول» : أي الدرجة الخامسة في سُلّم «دو» الموسيقي (م) .

اليوم

جاء الأسد

وانتصب في الوسط تمامًا

ما بين قِبابِ أضرحة «لودي»

(تحت سماءٍ لا أثر لبُقَعٍ

سوداء فيها

كوكبان قُطِعَا شطرين)

ونهرِ «يامونا» ذي الطين المتعدد الألوان

في الرقم 13 من شارع بريثفيراج

أقرأ قصيدتك

ناعمة

مثل هذا النور

في راحته

تندفع الألوان الأجساد الأشكال

تهوي

وتندفع الأشياء

مثل البهاليل

يمرُّ في الهواء

ببَّغاوان في أوج التحليق

يتحدَّيان الحركة

والكلام

انظر إليهما

لقد رحلاَ!

إشعاع بضع كلمات

هو خفق أجنحة

لا ينجلي العالم
إلاَّ ليغدو لا مرئياً
إنَّ تعلُّمَ رؤية الآنيِّ ، سماعَهُ ، قولَهُ
هو مهمَّتنا
تثبيت الدّوار؟
الكلمات
مثل إناث ببَّغاء في نَزْو
تتبخر
حركتها
هي عودة إلى الثبات
لم يتبقَّ لنا ـ قال باتاي ـ (1)
سوى كتابة تعليقات وشروح
لا معنى لها
حول غياب معنى الكتابة
تعليقات تمَّحي
الكتابة الشعرية
تمحو المكتوب
كتابة
على مكتوبِ
ما هو غير مكتوب
عرض مسرحية لا خاتمة لها

لا يمكنني الكلام عن غياب معنى

1- بالفرنسية في النص الإسباني؛ وهو قول للكاتب الفرنسي جورج باتاي (م) .

من دون أن أضفيَ عليه معنى لم يكن فيه
الكتابة الشعرية هي
تعلم قراءة
باطن الكتابة
في الكتابة
لا قراءة آثارِ ما كنَّا
بل قراءة الدروب
المؤدية إلى ما نكون
والشاعر
كما تقول في رسالتك
هو الذي يسأل
هو الذي يرسم السؤال
على اللَّحد
وما إن يرسمه
حتى يمحوه
الشِّعر
هو القطيعة الآنية
التي تندمل آنيًا
وتفتحها ثانيةً
نظرات الآخرين
القطيعة
هي الديمومة
موت القائد غيفارا
قطيعة أيضاً
وليست نهاية

ذكراه
ليست ندبة
بل ديمومة تتمزَّق
ولكي يدومَ الشِّعر
فهو فرجة
فضاء
بين كلمة وأخرى
شكلٌ لعدم الإنجاز

ليون فيليب
أمشي
في بستان لا تعرفه
وأتحدث معك معي
يسقط
على هذه الخُضرة النائمة
نورٌ لا يدركه اللمس
شرسًا
يسقط
على حروف قصيدتك
على القطة المروبصة
على الحشرة الزجاجية
على الطائر المتفحِّم في شَدْوه
على جسد امرأتي النائمة-المستيقظة
جسد الأنثى
استراحة

مُريعة

قُرْبٌ يتعذّر بلوغُه

حضور مفرط

ثابت

وفي الأثناء

بارز

زورقٌ

مائيٌّ يلامس الضفة الأخرى

فيصير هواءً

تموُّجًا

بهجةَ سيلٍ يمتدُّ

حتى يغرق

حتى ينتفي

هذا النور فطريّ

يجهل الموت

يجهلنا

وداعًا ليون فيليب

طاب نهارك

لم نتقابل في مكسيكو

عدم اللقاء كان لقاءً

إشعاعَ بضعِ كلمات

خفَّةَ مقاطعِ لفظية محلِّقة

في ثبات هذا النهار الشتويّ

محمد علي اليوسفي

- محمد علي اليوسفي من مواليد مدينة باجة بالجمهورية التونسية 3 مارس 1950.
- متزوج وله أنسي ودانية.
- درس المرحلتين الابتدائية والثانوية بتونس ثم سافر إلى الشرق العربي حيث أتم دراسته الجامعية في جامعة دمشق وتخرج في قسم الفلسفة والعلوم الاجتماعية.
- تابع الدراسات العليا في الاختصاص ذاته بالجامعة اللبنانية خلال الحرب الأهلية.
- وفي الأثناء مارس الترجمة والكتابة والصحافة الثقافية في أبرز الصحف والمجلات السورية واللبنانية والفلسطينية.
- عاد إلى تونس ليستقر بها بعد عشرين عاماً أمضى ثمانية منها في جزيرة قبرص.
- أعماله المؤلفة :

أ ـ في الشعر :

- حافة الأرض ، دار الكلمة ، بيروت 1988.
- امرأة سادسة للحواس ، دار الطليعة الجديدة ، دمشق 1998.
- ليل الأجداد ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق 1998.

ب ـ في الرواية :

- توقيت البِنْكَا [جائزة الناقد للرواية] رياض الريس للكتب والنشر ، لندن 1992.
- شمس القراميد ، [جائزة كومار:الريشة الذهبية] دار الجنوب ، تونس 1997.

- مملكة الأخيْضَر ، دار الطليعة الجديدة ، دمشق ، سوريا 2001.
- بيروت ونهر الخيانات ، دار الفارابي ، بيروت 2002.
- دانتيلا ، دار الفارابي ، بيروت 2005.
- عتبات الجنة ، دار الفارابي ، بيروت 2007.

ج - في النقد:

- أبجدية الحجارة ، بيسان برس ، نيقوسيا ، قبرص ، 1988 .

- أعماله المترجمة:

أ - شعر:

- حرية مشروطة ، أوكتافيو باث ، الدار العالمية ، بيروت 1983.
- مدائح النور ، مختارات من الشعر اليوناني ، دار الملتقى ، ليماسول ، قبرص 1994.

ب - رواية:

- حكاية بحار غريق ، غابرييل غارسيا ماركيز ، دار ابن رشد ، بيروت 1980 .
- خريف البطريرك ، غابرييل غارسيا ماركيز ، دار الكلمة بيروت 1981 .
- خريف البطريرك ، طبعة جديدة ، دار المدى ، دمشق 2005.
- البابا الأخضر ، ميغيل أنخل استورياس ، دار التنوير ، بيروت 1981 .
- ناراياما ، شيتشيرو فوكازاوا ، دار التنوير ، بيروت 1982 .
- مملكة هذا العالم ، أليخو كاربنتييه ، دار الحقائق ، بيروت 1982 .
- البيت الكبير ، ألفارو سيبيدا ساموديو ، دار منارات ، عمّان 1986 .
- ليلة طويلة جداً ، كريستين برووِيه ، دار الجنوب ، تونس 1994 .
- بلزاك والخياطة الصينية الصغيرة ، داي سيجي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت الدار البيضاء ، 2004.

ج - سيرة :

- المنشق ، سيرة نيكوس كازنتزاكي بقلم زوجته ، دار الآداب ، بيروت 1994 .

د ـ دراسات :

- بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية ، ماكس هوركهايمر ، دار التنوير ، بيروت 1981.
- بلزاك والواقعية الفرنسية ، جورج لوكاش ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، تونس 1985.
- نظرية الدين ، جورج باتاي ، دار معد ، دمشق 2007.

هـ ـ سينما:

- الثورة الفرنسية في السينما ، المؤسسة العامة للسينما ، دمشق ، 2003.
- قرن من السينما الفرنسية ، المؤسسة العامة للسينما ، دمشق ، 2005.

و ـ رحلات :

- من تونس إلى القيروان ، غي دي موباسان ، دار المدى ، دمشق ، 2004.

العنوان الإلكتروني :

yousdali@yahoo.fr

yousfimedali@gmail.com

أوكتافيو باث

كنت شجرة وتكلمت بستان حروف

هذه المختارات أردناها مقتصرة على مجموعة من القصائد «الشرقية» ، إذا صحت مثل هذه التسمية ، ضمن الرؤيا الكونية التي يتميز بها شعر باث. إنها القصائد التي كتبها إثر إقامته في الهند واليابان منذ الخمسينات حيث عُيِّن سفيراً لبلاده في نيودلهي . غير أنه قدم استقالته من منصبه سنة ١٩٦٨ احتجاجاً على المجازر التي ارتكبتها حكومة بلاده ضد الطلاب .

لقد عاد الشاعر من تلك الإقامة المطولة مغتنياً باكتشاف جوهري سوف يشكل منعطفاً بارزاً في مسيرته الشعرية والفكرية ، ويتمثل في اطلاعه العميق على البوذية وفي توخي أساليب جديدة للكتابة طبعت مضامينها قصائده كما أثرت في أشكالها ، ابتداء من تبني شكل قصيدة الهايكو اليابانية على سبيل المثال .

يمكن القول إن شعر أوكتافيو باث هو «شعر ثقافي» يمسك باللحظة وبالمحسوس ، لكنه ينشغل دائماً بفكرة يسوقها . ويتمكن من كتابة قصائد ناجحة بأبسط الأفكار . ذلك أن الفكرة عنده تظل مندغمة في القصيدة ولا يمكن تمييزها إلا عبر الإدراك الشعري . ففي الشعر تنسجم الفكرة والصورة ، أو كما يقول باث «في الشعر نسمع الصور» .

أزمنة

تلفاكس 5522544 6 00962 ص . ب 950252 . عمّان 11195 الأردن